مقياس منهجية و تقنية البحث التاريخي (1) .
السنة الثانية ليسانس
المحاضرة رقم 6
العلوم التي لها صلة بالتاريخ (2)

ثالثا : الجغرافيا.

تعتبر الجغرافيا من أكثر العلوم ارتباطا بعلم التاريخ ، فإذا كان التاريخ يدرس الأحـــــــــــــــــــــــداث و الأفعال الإنسانية الخاصة بالأمم و الأفراد عبر الزمن ، فإنّ الجغرافيا تدرس الحيّز الجغرافي الذي تقع فيه نشاطات هذا الإنسان عبر العصور ، و لذا فإنّ دارس التاريخ مضطر دائما إلى تحصيل معارف جغرافية كافية لتحديد مواقع الحوادث من حروب و ثورات و هجرات ، و كذلك إثبات أسماء المواقع و الأمكنة ، و قد تحكمت الجغرافيا في ظهور الحضارات في مواقع محددة ، كما منعتها الظهور في مواقع أخرى ، و تحكمت في اتصالها و صدامها و تفاعلها في أقاليم اختارتها الجغرافيا و لم يخترها التاريخ و لا الإنسان .

و لقد لعبت الجغرافيا دورا هاما في أحداث التاريخ عبر مختلف الحقبات ، فمثلا عاق البحر تقدم القائد المغولي تيمورلنك نحو أوربا الشرقية بعد هزمه السلطان العثماني بايزيد الأول في موقعة أنقرة سنة 1402م ، و كانت قسوة الشتاء و ثلوجه عاملا هاما في فشل هجوم نابليون بونابرت على روسيا سنة 1812م ، كما تكررت نفس الأمور لهتلر القائد الألمـــــــــــاني في الحرب العالمية الثانية ، و كانت غابات فيتنام و أدغالها و وديانها و جبالها عاملا حاسما في هزيمة القوات الأمريكية .

و ارتبط تاريخ العديد من الأقطار بموقعها الجغرافي ، فتاريخ مصر على مرّ العصور تأثر بموقعها على ضفاف النيل و بسواحلها المطلة على البحرين المتوسط و الأحمر ، و كان لموقع مصر و تحكمها في طريق التجارة بين الشرق و الغرب عبر البحرين – حتى قبل حفر قناة السويس- أثره في ثراء دولة المماليك الحاكمة فيها ، و لما اكتشف البرتغاليون طريق رأس الرجاء الصالح و تحولت

التجارة مؤقتا إليه تأثرت بذلك دولة المماليك ، و كان هذا العامل الجغرافي من أهم عوامل ضعفها و سقوطها .

و لذلك فإنّ المطّلع اطّلاعا جيدا على علم الجغرافيا بتخصصاتها المختلفة و في مقدمتها الجغرافية الطبيعية و السياسية يجد نفسه في رواق جيد يوصله بخطى ثابتة إلى ما يهدف إليه من دراسة علمية هادفة ، و لن يجد الطالب عنتا في أن يخوض غمـــــــار الغوص في أعماق المواضيع المرتبطة بصورة الأرض .

رابعا : علم الآثـــــــار.

لا يمكن للباحث في الآثار أن يكون بعيدا عن التاريخ فهو يرتبط به ارتباطا وثيقا ، و علم الآثار يبحث عن مخلفات الماضي و بقاياه الأثرية و استخراجها من باطن الأرض بالأساليب العلمية المتبعة في التنقيبات و دراستها لإستخـــــــراج الدلالة التاريخية عن أحوال الماضي ، فالبحث عن الآثار أو التنقيبات هو في الحقيقة البحث عن مادة التاريخ الأولى ، أي عن أصوله و موارده ، و هي أولى المهام التي يضطلع بها المؤرخ الباحث .

و لنقل أيضا إنّ علم الآثار يدرس ماضي الإنسان على ضوء المخلفـــــات القديمـــــــة و النـــــــادرة و محاولة تفسيرها و استنباط الحقائق التاريخية منها ، و هو علم يفحص هذه المخلفات لمعرفة تاريخها و لتحديد الحضارة التي أنتجتها و الأغراض الدنيوية التي كانت تستخدم فيها ، فهو يكب على دراســـــــة المخلفات الأركيولوجية المتباينة من أطـــــــلال المدن و القصور و المعابد و المسلات و المدافن و الأساليب القديمة للـــــــــري و الأدوات الحجرية و الفخارية و المعدنية و المنشآت المدنية و العسكرية و السدود و القناطر و الطرق و غيرها ، فلقد سجّل القدماء في كثير من الأحيان على هذه المخلفات شيئا من تاريخهم و معتقداتهم و نظمهم و انتصاراتهم العسكرية ، و من تمّ فإنّ مكانة الآثار في التاريخ لا يكاد يضاهيها أي مصدر مكتوب في هذا المجال .

و تكمن أهمية دراسة علم الآثار في دراسة ماضي البشرية من حقيقة أنّ الشواهد الأثرية هي أقل عرضة للتلف و الفناء من غيرها من الشواهد التاريخية ، و أكثر من هذه قدرة على مقاومة عوامل الطبيعة و عوادي الزمن و من عوامل

التخريب المتعمد و الحرق و الإفساد الذي يحدثه العابثون بشواهد ماضي الأمم ، غير أنّ أمثال هؤلاء الجهلة قد ينجحون أحيانا في طمس المعالم الأثرية .

و قد حدث هذا التخريب المتعمد الهمجي في بلادنا ، فقد عمد المستدمر الفرنسي الصليبي الإرهابي منذ تدنيسه أرض الجزائر الطيبة إلى تدمير و طمس الكثير من المعالم الحضارية الإسلامية في كثير من مدننا و إضفاء صبغة غربية عليها ، و ذلك بهدف قطع صلتها بماضيها و فصلها عن أمتها العربية الإسلامية .

و من نقائص المناهج الدراسية في أقسام التاريخ في جامعاتنا إهمالها لعلم الآثار و عدم إيلائه أهمية تذكر ، فلا يكاد الطالب يعرف عنه شيئا ، و إدراجه كمقياس في السنة الأولى جذع مشترك علوم إنسانية لن يفيد الطالب في شيء ، بل الواجب على المجالس العلمية و الهيئات المشرفة على المناهج الدراسية الجامعية إدراج مقاييس علمية متخصصة نظرية و تطبيقية باقتراح من أساتذة علم الآثار ، فيجمع الطالب بين العلم النظري المتحصل عليه من المصادر المختلفة و نظيره الماثل أمام أعينه في أرض الواقع من مخلفات مادية أثرية متنوعة ، و حينها ندفع بالتاريخ إلى مستوى أرقى يعود بالفائدة الجمة لا محالة على الدراسات التاريخية بمختلف تخصصاتها .